

(٦٥) [الهادي]

ورد اسمه سبحانه (الهادي) في القرآن الكريم مرتين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بَرَبِكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

المعنى اللغوي:

«الهُدَى: الرَّشَادُ والدلالة، يُوْتَى ويذكر.

يقال: هَدَاهُ اللهُ لِلدِّينِ هُدًى، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [السجدة: ٢٦]، قال أبو عمرو بن العلاء: أو لم يُبَيِّنْ لَهُمْ. وهديته الطريق والبيت هدايةً أي: عَرَفْتَهُ»^(١).

«والهُدَى: إِخْرَاجُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ.

والهُدَى: الطاعة والورع.

والهدى أيضاً: النهار»^(٢).

قال الزجاجي رحمه الله: «(والهادي): الدليل، ويقال: هديت الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق بثلاث لغات»^(٣).

معناه في حق الله تعالى:

قال ابن جرير: «﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾»

(١) انظر (الصحاح) ٦/٢٥٣٣.

(٢) انظر لسان العرب ٦/٤٦٣٩.

(٣) اشتقاق الأسماء ص ١٨٧.

[الحج: ٥٤]: وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد، والحق الواضح^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بَرَبِكَ هَادِيًا﴾: «قوله تعالى ذكره لنبية: وكفاك يا محمد بربك هاديًا يهديك إلى الحق، ويُبصِّرُكَ الرشد»^(٢).

وقال الزجاج: «(الهادي) هو الذي هدى خلقه إلى معرفته وربوبيته، وهو الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَىٰ مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]»^(٣).

وقال الزجاجي رحمه الله تعالى: «الله - عز وجل - (الهادي) يهدي عباده إليه، ويذللهم عليه، وعلى سبيل الخير والأعمال المقربة منه عز وجل»^(٤).

وقال الخطابي: «(الهادي) هو الذي من بهداه على من أراد من عباده فخصه بهدايته، وأكرمه بنور توحيده كقوله تعالى: ﴿وَهَدَىٰ مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

وهو الذي هدى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق وكيف تتقي المضار والمهالك كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]»^(٥).

(١) تفسير الطبري ١٧/١٣٤.

(٢) المصدر السابق ٨/١٩.

(٣) تفسير الأسماء ص ٦٤.

(٤) اشتقاق الأسماء ص ١٨٧.

(٥) شأن الدعاء ص ٩٥ - ٩٦.

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: « (الهادي) أي الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى ويجعل قلوبهم منيية إليه منقادة لأمره»^(١).

ويبين الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - أنواع الهداية فيقول: «اعلم أن أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ﴿طه: ٥٠﴾، أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتهه فيها غيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل شيء موجودٍ خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.

وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجماد المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختلفت أنواعها وصورها.

وكذلك كل عضو له هداية تليق به فهدي الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له، وهدي الزوجين من كل حيوان إلى الأزواج والتناسل وتربية الولد، وهدي الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه. ومراتب هدايته سبحانه لا يُحصيها إلا هو، فتبارك الله

(١) تفسير السعدي ٣٠٥/٥.

ربُّ العالمين.

وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً، ومن الشجر ومن الأبنية، ثم تسلك سبل ربها مذللة لها، لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوبها واتباعه والالتزام به أين توجه بها، ثم هداها إلى بناء البيوت العجيبة الصنعة، المحكمة البناء، ومن تأمل بعض هدايته الماثوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة بأيسر نظر وأول وهلة وأحسن طريق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة، فإن من لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة، بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها، كيف يليقُ به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود، الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملًا وسدى معطلاً، لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته، بل يتركه معطلاً لا يأمره ولا ينهاه ولا يُثبِّه ولا يعاقبه؟ وهل هذا إلا منافٍ لحكمته ونسبته له مما لا يليقُ بجلاله؟!

ولهذا أنكر ذلك على من زعمه، ونزه نفسه عنه، وبيّن أنه يستحيلُ نسبةُ ذلك إليه، وأنه يتعالى عنه، فقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، فنزه نفسه عن هذا الحُسبان، فدلَّ على أنه مستقر بطلانه في الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وهذا أحد ما يدلُّ على إثبات المعاد بالعقل، وأنه مما تظاهر عليه العقل والشرع كما هو أصح الطريقتين في ذلك.

ومن فهم هذا فهم سر اقتران قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، بقوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وكيف جاء ذلك في معرض جوابهم عن هذا السؤال والإشارة به إلى إثبات النبوة، وأن من لم يهمل أمر كل دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه، بل جعلها أمماً وهداها إلى غاياتها ومصالحها، كيف لا يهديكم إلى كمالكم ومصالحكم؟! فهذا أحد أنواع الهداية وأعمها.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا لا يتحتم الهدى معها؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلّف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر: ٨]، وفي قوله: ﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدُنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧]، وفي قول النبي ﷺ: (من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل الله فلا هادي له)، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]،

فنفى عنه هذه الهداية ، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

التّوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليهما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩]، وقال أهل الجنة فيها: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ آحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [٢٢ - ٢٣] (١).

من أشار بالإيمان باسمه سبحانه (الهادي)

أولاً: محبة الله - عز وجل - وتعظيمه والثناء عليه، حيث أعطى كل شيء خلقه وهداه إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته، وأعظم من ذلك هدايته سبحانه لعباده حيث أنزل الكتب وأرسل الرسل لبيان سبل الهدى والحق والتحذير من طريق الغواية والضلال، ومنح لعباده العقول التي تدلهم على الله - عز وجل - وتهديهم إليه بما أودع في هذا الكون من الآيات الباهرات التي تدل على وحدانيته سبحانه.

ثانياً: لما كانت هداية التوفيق والإلهام لا يملكها إلا الله - عز وجل - فإن هذا يشعر العبد بافتقاره التام إلى ربه سبحانه في طلب هذه الهداية والإعانة عليها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، ولذا كان على العبد أن يسأل ربه

(١) بدائع الفوائد ص ٣٣٠ - ٣٣٣، ت: صالح اللحام وخلدون خالد «دار ابن حزم».

سبحانه ويتضرع إليه بأن يهديه ويثبته ويوفقه.

وحتى هداية الدلالة والإرشاد هي الأخرى لا يملكها على الحقيقة إلا الله تعالى وإنما يختار سبحانه من يشاء من عباده من الرسل والمصلحين في هداية الناس إلى الحق وبيانه لهم، ولولاه سبحانه لما اهتدى أحد سواء كانت هذه الهداية إرشاد أو هداية التوفيق.

والهداية أكبر نعمة يُنعم بها (الهادي) سبحانه على عبده، إذ كل نعمة دونها زائلة ومضمحلة، وبقدر هدايته تكون سعادته في الدنيا، وطيب عيشه وراحة باله، وكذا فوزه ودرجته في الآخرة.

والأنبياء - صلوات الله عليهم، وهم أكمل الناس إيمانًا وهداية - كانوا يسألون الله تعالى أن يهديهم، فهذا موسى - عليه السلام - يقول: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وكذا يوسف عليه السلام قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

[يوسف: ١٠١].

وسليمان - عليه السلام - قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وكان خاتم النبيين ﷺ يسأل ربه تعالى الهداية في دعواته وصلاته، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان ﷺ إذا قام من الليل افتتح

صلاته: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، أَنْتَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١).

وكان يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى) (٢).
وقال لعليٍّ ؑ: (قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسِدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَىٰ هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ سَدَادَ السَّهْمِ) (٣).

وأمرت هذه الأمة بأن تسأل الله تعالى الهداية في كلِّ ركعة من صلاتها في قوله سبحانه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وعلم الرسول ﷺ الحسن بن عليٍّ - رضي الله عنهما - أن يقول:
(اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ) (٤).

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتَ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ) (٥).

(١) مسلم (٧٧٠).

(٢) مسلم (٢٧٢١).

(٣) مسلم (٢٧٢٥).

(٤) أخرجه أحمد ١/١٩٩، وأبو داود (١٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود،

انظر النهج الأسمى ٢/٢٧٥، ٢٧٦.

(٥) مسلم (٢٧١٧).

هذا هو دعاء الرسول ﷺ وهو الهادي المهدي المعصوم من الضلال فكيف بنا نحن الضعفاء المعرضون لفتن الشبهات والشهوات؟ إن حاجتنا لطلب الهداية من مالكتها سبحانه أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب.

ثالثاً: سعي المؤمن إلى أن يكون هادياً إلى الله - عز وجل - وإلى صراطه المستقيم وذلك بنشر العلم والدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد الناس إلى الحق، وتحذيرهم من الباطل الذي يؤول بهم إلى سخط الله وعذابه.

اقتران اسمه سبحانه (الهادي) باسمه سبحانه (النصير):

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١].

ويرجع لمعرفة وجه هذا الاقتران إلى الكلام عن اسمه سبحانه (النصير).

